عنوان البرنامج: تفكيك خطاب التطرف
الوحدة الأولى: حلم الوحدة: المفهوم والمقتضات
الدرس الأول: كلمة في المنهج
اسم المحاضر: الدكتور أحمد عبادي

كلمة في المنهج

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا مفتتح سلسلة من الكلمات التي سوف تحاول الإحاطة قدر المستطاع بموضوع تفكيك خطاب التطرف؛ وخطاب التطرف بطبيعته خطاب تركيبي، ولذلك فإن التفكيك أصبح مقتضىً وظيفياً لا يمكن أن نتعامل مع هذه الظاهرة التركيبية –وسوف نذكر أسباب هذا التركيب – كما لو كنا نتعامل مع ظواهر بسيطة، الإشكالات البيولوجية مثلا، أجوبتها واضحة إذا جاع الإنسان فإن إجابة هذا السؤال مثلا، ماذا أفعل لأتجاوز الجوع؟ هو لتأكل، فإذا عطش الإنسان فإن الإجابة عن هذا السؤال ماذا أفعل لكي أتجاوز العطش وأبُلَ الصدئ وأشرب الماء؟ وهذه الأمور لا يمكن أن تنطبق على ظاهرة تركيبية مثل الخطاب الذي يدعو إلى هذا السلوك الذي يدعى تطرفاً.

هناك تركيب بين جملة من الأمور ومن القضايا، في مقدمتها أضرب التوْق التي تهز الإنسان، سواء كان في المنطقة أو كان في غيرها، من مِنا لا يتوق للكرامة، من منا لا يتوق للوحدة، من منا لا يتوق للخلاص، من منا لا يتوق للصفاء، فهذه أضرب من التوق، التوق للعزة وغير ذلك من أنواع التوق لهذه الأشياء الكبيرة والمحورية والهامة في حياة كل واحدة وكل واحد منا. أمر طبيعي لكنه ليس بمفرده فهو يتركب في جملة من الجراحات الموجودة في هذا المحيط، وهذه الجراحات تستعمل متكأ ومستنداً للترويج لهذا الخطاب، ولذلك من خلال التعاطي التفكيكي للخطاب الداعي للتطرف، ولا سيما منه الداعي للتطرف العنيف، نجد ترداداً لجملة من الجراحات سوف نأتي على ذكرها إن شاء الله بالتفصيل في حينه.

الأمر الثالث الذي ينضاف لهذا كله هو جملة من التبسيطات، بحيث في هذا العالم الذي فيه الحيرة، والذي فيه نوع من غياب الخيط الناظم لما نشهده من متفرق وكثيف الظواهر والإشكالات وأضرب المعاناة، فإن الذي يدعوه إلى التبسيط من خلال عرضه لجملة من الثنائيات.

والقرآن المجيد قد نجد فيه هذا النوع من المقاربة؛ ولكنه ليس بالإفراد؛ الحديث عن الكفر وعن الإيمان، والحديث عن الحق وعن الباطل، والحديث عن العمى وعن الإبصار، وعن الظلم وعن النور، لا يمكنه أن ينفك بعضه عن البعض، فلا يمكن أن نفصل هذه الثنائيات وندعو إليها كما لو كانت مفاتيح تفسيرية على وجه الإفراد، وإنما هي مفاتيح تفسيرية، حين تشتغل مجتمعة، حين تشتغل بتعاضد وتشتغل بتواشج فيما بينها.

ولذلك فإن الذين يروجون لهذا الخطاب المستند على الثنائيات، يكون عندهم هذا الشعاع الموهم بأن القضية بهذه البساطة، بَيد أنها ليست كذلك؛ الرسول صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن ننظر إلى أنواع كل الطيف، وألا نتعامل مع الحالات بشكل أوتوماتيكي، لذلك فإننا نجده مرة يُجيب الذي سأله عليه الصلاة والسلام أن يوصيه، قال لواحد لا تغضب، وقال لآخر لا تكذب، وهلّم جر، يعني يدعو البعض ببرور الوالدين والبعض الآخر لغض البصر، بحسب ما يراه عليه الصلاة والسلام بعد الصبر لنفسية هذا السائل أو هذه السائلة يقدم وصيته النبوية الشريفة.

فالأمور ليست بالبساطة التي قد يتوهمها البعض؛ لأن هذا الخير، هذا الفضل إنما يعطي فيوضه، ويعطي أنوراه، ويعطي هدايته بحسن الإلحاح في الطلب، فالقرآن المجيد سمّاه الله تعالى كريماً، ولكن على الطالبة وعلى الطالب أن يكون فعلا متسما بهذا الإلحاح، وهذا الإلحاف في الطلب.

فإذن هذا التبسيط قد تكون له هذه الجاذبية، أضف إلى ذلك جملة من التأويلات التي تأتي وبقصد أو بغير قصد يكون هناك تحريف للكلِم عن موارده، ويعني هذه القضية هي التي تفصل هذه الأمة عن الأمم الأخرى التحريف عن المواضع صعب لأن الله عزّ وجلّ قال: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ (الحجر: 9)؛ وهذا قول له تجلياته الكونية؛ لأنه في مقام كن فهذا الحفظ (كان) وهو كائن وسوف يكون، وإنما التحدي الآن في مواطن الورود، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغاليين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين» بمعنى أن وظيفة المؤسسات العلمية والقائمة على الشأن العلمي هو حماية هذا الفضل، وهذا العلم، وهذا الخير من هذه الآفات الثلاثة، ومنها آفة التأويل.

كل ذلك أدى على أرض الواقع إلى أضرب من الانتماءات، كما أدى إلى التمترسات في بعض الأحيان، وهذه التمترسات هي التي تنتج التقاطبات الحادة التي لا بد من علاجها في واقعنا المعاصر.

من هنا فإن هذه اللقاءات إن شاء الله سوف تتمحور على هذه الأنواع من التفكيك لكي نحيط قدر الإمكان إن شاء الله علماً إدراكاً، واستيعاباً لهذه الظاهرة، ومن تم إن شاء الله وبعونه تعالى وبتيسير منه، نقدم بعض الحلول التي نسأل جلّ وعزّ أن يجعلها ناجعة.

فلقاءاتنا حول تفكيك خطاب التطرف سوف تكون عبر وحدات خمس، وهذه الوحدات بعون الله تعالى سوف تكون فيها جملة من الكلمات، في كل وحدة سوف تكون عندنا بعون الله تعالى أربع كلمات، نحاول من خلالها أن نعمل بهذا المنهج.

أريد أن أختم بأن هذا المنهج أصلاً، وهذه الكلمة قد سمّيت في الخطاطة التي وضعت لهذه السلسلة من الكلمات **كلمة في المنهج**.

نريد أن نختمها بالمسألة الآتية: وهي أن غياب اضمحلال نسيج الرؤية الكلية والإدراك الكلي، كما كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمله عنه صحبه الكرام، حين تغيب هذه الرؤية الكلية، فإن الاقتراب من النصوص، ومحاولة فهم هذه النصوص؛ التي هي نصوص الوحي المحفوظ، لا يكون في منأى عن خطر تنزيل وتوظيف وإعمال هذه النصوص في غير مواردها؛ لأن هذا الإدراك للرؤية الكلية هو الذي يمكن من وضع النص في موضعه، وإعماله في مساره، وفي مجراه على سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى نهج أصحابه الكرام رضوان الله عليهم.

لذلك فإن بناء هذه الرؤية الكلية التي تشبه إن أردنا التقريب الصورة التي تعطى مع puzzle أي الصور المقطعة، والتي بالنظر إليها نتمكن من وضع كل قطعة في موضعها بغير عوجٍ ولا أمْت، فالرؤية الكلية كما هي موجودة في كتاب الله وفي سنة سيدنا رسول صلى الله عليه وسلم هي التي من شأنها أن تنئ بنا عن مخاطر هذا الاستعمال في غير المورد، أوفي غير الموضع مما ينتج التطرف، وخطاب التطرف، وفعل التطرف، والتمترس الناجم عن التطرف.

فإذن سوف نخصص إن شاء الله كلمات من ضمن هذه اللقاءات للحديث عن هذه الرؤية الكلية وكيفية بنائها إن شاء الله من أجل أن نضع الأمور في موضعها وهو ما عرّف به علمائنا الحكمة؛ فالحكمة عندهم هي وضع الشيء في موضعه، وبمقدار، وفي إبّانه.

يتجدد لقائنا إن شاء الله في الفرصة القادمة للحديث عن الأمور التي وعدنا بالحديث عنها، وإلى ذلكم الحين أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.